حقوق النبيﷺ بين الغلو والجفاء

د. الأمين الصادق الأمين محمد (★)

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ،﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1]،﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[2] ،﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[3].

إنّ الله عزّ وجلّ اصطفى محمداً ﷺ فحمله رسالته ، واختاره فختم به نبوته ، وأنزل عليه خير كتبه وعصمه في دعوته ، وبعثه إلى الخلق كافة وألزمهم بمحبته ، ودعاهم جميعاً إلى اتباعه وطاعته ، فلا يسعد منهم إلا من تمسك بسنته ، واتبع شرعته .

وبعد : في هذا البحث نحدث عن حقوق رسول الله ﷺ، وصلة رسالته بالأنبياء السابقين ، والإيمان به ، وكيف يتحقق ذلك، وذلك من خلال ستة مطالب مقسمة علي النحو التالي:

المطلب الأول: حقوق النبي ﷺ وصلة رسالته برسالة الأنبياء.

المطلب الثاني: عموم رسالة النبي ﷺ.

المطلب الثالث: ختم النبوة بالنبي ﷺ.

(★) الأستاذ المساعد بكلية التربية جامعة كسلا .

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢ .

(٢) سورة النساء١ الآية: ١ .

(٣) سورة الأحزاب الآية : ٧٠ ـ ٧١ .

المطلب الرابع: عصمة النبي ﷺ.
المطلب الخامس: محبة النبي ﷺ.
المطلب السادس: حقيقة إتباع النبي ﷺ.

المطلب الأول: حقوق النبي ﷺ وصلة رسالته برسالة الأنبياء:

إن الله عز وجل بعث رسله لحمل رسالته، وتبليغ دينه وإرشاد العباد إلى عبادة الله، ولإقامة حجته على خلقه، وتبشير المؤمنين بجنته، وتحذير الكافرين من عقابه. قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (1). وليكونوا قدوة للأنام، وأسوة لهم. ووهبهم من الصفات والسمات ما يجعلهم في المقام الذي يؤهلهم لإبلاغ ما كلفوا به.

و قد جعل الله الإيمان بهم واجباً من واجبات هذا الدين، وركناً عظيماً من أركان الإيمان. فقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (2). وبين سبحانه أن أهل الإيمان لا يفرقون في إيمانهم بين رسله حيث يؤمنون ببعض دون بعض، بل يصدقون بهم جميعًا. فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (3).

كما أشار إلى كفر من لم يؤمن برسله، وفرق بينهم فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا

(1) سورة النساء الآية: ١٦٥.
(2) سورة البقرة الآية: ٢٨٥.
(3) سورة النساء الآية: ١٥٢.

﴿ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[1]. والإيمان بالرسل ليس على مرتبة واحدة ، بل هناك الإيمان المجمل الذي يؤمن فيه المسلم بجميع الرسل على وجه العموم ، وهناك الإيمان المفصّل الذي يتحقق بما ثبت في الشرع عنهم من أسمائهم وأسماء الكتب التي أنزلت عليهم ، وما وقع بينهم وبين أقوامهم . وأما الإيمان بمحمد ﷺ فهو إيمان مفصل يحوي بين طياته جوانب عدة يأتي الحديث عنها تباعاً .

والإيمان بهم عليهم السلام يتضمن أمورا أهمها :

[١] التصديق بنبوتهم وبما جاءوا به من عند الله عزّ وجلّ . قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[2].

[٢] توقيرهم و تعظيمهم . قال تعالى : ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴾[3].وقد أجمع العلماء على أن من انتقص نبيا من الأنبياء فقد كفر .[4]

[٣] وجوب العمل بشرائعهم . وذلك في حق كل أمة لنبيها ، وقد نسخت شريعة النبي محمد ﷺ كل شريعة سابقة [5].

[٤] اعتقاد عصمتهم في تبليغ الوحي، وعصمتهم من الكبائر والصغائر التي تدل على خسة الطبع وسفول الهمة. ولا يجوز لأحد أن ينتقص أحداً منهم [6].

[٥] اعتقاد صدقهم جميعاً ، وأنّه يستحيل عليهم الكذب . والله يقول: ﴿ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾[7]. ولما سأل هرقل أبا سفيان في شأن النبي ﷺ : " فهل كنتم تتهمونه

(١) سورة النساء الآية : ١٥٠ ـ ١٥١.
(٢) سورة الحديد الآية : ١٩ ـ وانظر : تفسير الطبري : ٢٧ /٢٣٠ . تفسير البيضاوي : ٣٠١/٥ .
(٣) سورة الفتح الآية : ٩ ـ وانظر : تفسير الطبري : ٧٤/٢٦ . تفسير ابن كثير : ١٨٦/٤ .
(٤) انظر : كتاب الشفا : ٣٠٠/٢ .
(٥) وانظر : تفسير الطبري : ٢٦٩/٦-٢٧٠ . تفسير القرطبي : ٢١١/٦ . تفسير ابن كثير : ٦٧/٢ .
(٦) وانظر : تفسير القرطبي : ١٢٧/٩ ، ٥٥/١٦ . فتح القدير : ١٦٤/٤ .
(٧) سورة يس . الآية : ٥٢ ـ وانظر : روح المعاني : ٩٦/١٦ .

بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا. ... فقال ـ هرقل ـ : فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله "[1].

[٦] إنهم جميعاً أمناء تستحيل الخيانة في حقهم . قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾[2].

[٧] إنهم بلغوا دين الله لمن بعثوا إليهم ولم يكتموا منه شيئاً . قال تعالى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[3].وقال تعالى عن نوح عليه السلام:﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.[4]

[٨] موالاتهم جميعًا ومحبتهم والحذر من بغضهم وعداوتهم . قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[5]. كما حذر سبحانه من معاداة رسله وعطف ذلك على معاداة الله وملائكته وقرن بينهما في العقوبة والجزاء . فقال عز من قائل:﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[6].

[٩] اعتقاد فضلهم على غيرهم من الناس ، وأنه لا يبلغ منزلتهم أحد من الخلق مهما بلغ من الصلاح والتقوى إذ الرسالة اصطفاء من الله يختص الله بها من يشاء من خلقه ولا تنال بالاجتهاد والعمل . قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾.[7].

[١٠] دفع ما أُلصق بهم من تهم وإشاعات، والذب عنهم صيانة لمقامهم وحفظاً لحقوقهم.

---

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي : (١) . باب (٦). برقم : (٧) . ص : ١٤ . صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير: (٣٢) . باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام : (٢٦) . برقم (١٧٧٣) . ١٣٩٣/٣-١٣٩٧ .

(٢) سورة آل عمران الآية١٦١ـ وانظر: تفسير البيضاوي: ١٠٩/٢.تفسير ابن كثير: ٤٢٢/١.تفسير أبي السعود: ١٠٦/٢ .

(٣) سورة المائدة: الآية : ٩٩ ـ وانظر : تفسير ابن كثير : ٣٠٠/٣ .

(٤) سورة الأعراف الآيات ٦١ ـ ٦٢، وانظر : تفسير ابن كثير: ٢٤/٢ . فتح القدير : ٢١٦/٢ . روح المعاني : ١٥٦/٨.

(٥) سورة المائدة الآية: ٥٦ وانظر : تفسير البيضاوي : ٣٤٠/٢ .

(٦) سورة البقرة الآية : ٩٨، وانظر : تفسير الطبري : ٤٣٩/١ . تفسير ابن كثير : ١٣٣/١ .

(٧) سورة الحج الآية : ٧٥، وانظر : تفسير الطبري : ٢٠٤/١٧ . روح المعاني : ٢٠٧/١٧ .

[١١] الصلاة والسلام عليهم. فقد أمر الله الناس بذلك وأخبر بإبقائه الثناء الحسن وتسليم الأمم عليهم من بعدهم. قال تعالى : ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (١). وقد جوز العلماء الصلاة على سائر الأنبياء واستحبابها (٢).

[١٢] لا يجوز لأحد من الثقلين متابعة أحدٍ من الرسل السابقين بعد مبعث محمد ﷺ . قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٣).

[١٣] الاعتقاد بأنهم بشر يأكلون ويشربون ، ويفرحون ويحزنون ، ويموتون ولا يخلدون . ولا يعلمون الغيب ولا يعبدون . قال تعالى : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٤) ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ (٥).

هذا فيما يتعلق بحقوق أنبياء الله ورسله على المسلم على وجه العموم ، ولا شك أن هناك حقوقاً اختص بها نبينا ﷺ ، من أعظمها وجوب متابعته ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (٦) وقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٧). كما يجب اعتقاد أن نبينا ﷺ هو خاتم الأنبياء، وأن شريعته هي خاتمة الشرائع ، وأنه لا نجاة لأحد إلا بإتباعه ﷺ .

---

(١) سورة الصافات الآية: ١٨١، وانظر: تفسير القرطبي: ١٤/١٥ . تفسير ابن كثير: ٢٦/٤. فتح القدير: ٤١٦/٤.
(٢) انظر : كتاب الشفا : ٩٢/٢.
(٣) سورة الأعراف الآية : ١٥٨، وانظر : تفسير ابن كثير : ٢٥٧/٢ . روح المعاني : ٨٢/٩-٨٣ .
(٤) سورة إبراهيم الآية:١١, وانظر : تفسير الطبري : ١٩١/١٣ . تفسير ابن كثير : ٥٢٦/٢ . فتح القدير: ٩٨/٣.
(٥) سورة الأنبياء الآية:٣٤، وانظر: تفسير: الطبري: ٢٤/١٧.تفسير القرطبي: ٢٨٧/١١. تفسير ابن كثير: ١٧٩/٣.

(٦) سورة الحشر الآية:٧.
(٧) سورة الأحزاب الآية :٢١ .

نبوة النبي ﷺ :

إن النبوة ليست موهبة يصل إليها الإنسان بنفسه ، وليست إنجازاً يناله بقدراته وذكائه ، وإنما هي اصطفاء إلهي يختار له الله من عباده من صفت أنفسهم ، وسمت أرواحهم ، ووفقوا لنيل ذلك المقام . فهي منزلة رفيعة ، ودرجة عالية لأنها الصلة بين الله وبين عباده في تبليغ شرعه ، وإقامة دينه ، وإصلاح خلقه . فهي نعمة مهداة من الله وفضل منه تفضّل بها على عباده .

ولما كانت النبوة بهذه المثابة بعث الله رسله إلى البشر ليؤدوا تلك المهمة ، ويقوموا بذلك الواجب . وأنى للبشر أن يعرفوا النبي الصادق من الدعي الكاذب ما لم يأت بالبراهين الثابتة والأدلة الدالة على صدقه .

ويمكن أن تحصر تلك الأدلة في أمور ثلاثة :

[١] المعجزة، وهي أمر خارق لا يمكن للبشر القيام به إلا إذا كانوا مؤيدين من الله عز وجل.

[٢] إخبار الأنبياء السابقين وتبشيرهم بنبوته .

[٣] الشواهد والبراهين من سيرته وأخباره .

ولا أريد في هذا المقام أن أتناول جميع الأنبياء بالحديث ، وإنما أود أن أخص نبينا ﷺ دون غيره ، لأن حملات أعداء الله المسعورة وجهت إليه دون سواه ، وإن كان في الحقيقة إثبات نبوة نبي واحد كاف لإثبات جميع نبوات الأنبياء ، كما أن تكذيب نبوة واحدة كاف لتكذيب جميع الأنبياء.وهذا سر قوله تعالى:﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (١). والآيات التي تليها في السياق ذاته .

ورسول الله ﷺ لم يكن بدعاً من الرسل عليهم السلام حتى يساء إليه وحده .

(١) سورة الشعراء الآية: ١٠٥.

قال ربنا: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١). بل الوحي إليه كالوحي إلى غيره، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ (٢).

أما المعجزة فالرسول الله ﷺ معجزات كثيرة أعظمها القران الكريم الذي هو المعجزة الخالدة، وهو كتاب خارق لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله مهما بلغوا من العلم والفصاحة والبلاغة، وقد تحدى به الخلق من الجن والإنس أن يأتوا بمثله مجتمعين متحدين فعجزوا. قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٣). ثم تحدى بلغاء العرب أن يأتوا بعشر سور فلم يفعلوا. قال سبحانه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤). ثم تحداهم بسورة واحدة ولكنهم فشلوا معلنين قصورهم وعجزهم عن ذلك. قال عز وجل: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٥). وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾. (٦)

ويكمن سر إعجازه في عدة أمور، أبرزها:

[١] الدرجة العالية من الفصاحة والبلاغة والبيان التي أعجزت الفصحاء والبلغاء.

---

(١) سورة الأحقاف الآية :٩، وانظر: تفسير الطبري: ٥/٢٦. تفسير البغوي: ١٦٤/٤. تفسير القرطبي: ١٨٥/١٦. تفسير ابن كثير: ١٥٥/٤.

(٢) سورة النساء الآية:١٦٣، وانظر : تفسير الطبري : ٢٧/٦ . تفسير البيضاوي : ٢٨٠/٢ . تفسير القرطبي : ١٥/٦ . روح المعاني : ١٦/٦.

(٣) سورة الإسراء الآية: ٨٨.

(٤) سورة هود الآية: ١٣.

(٥) سورة البقرة الآية: ٢٣ .

(٦) سورة يونس الآية: ٣٨ ، انظر : تفسير القرطبي : ٧٧/١ . تفسير ابن كثير : ٦٠/١ .

[٢] الإخبار بالأمور الغيبية ، كقصص الماضين ، وأخبار السابقين .

[٣] التشريع الكامل الذي يلبي احتياجات الناس في جميع شؤونهم ، ويسايرهم في جميع العصور .

[٤] إصلاح البشرية في جميع مناحيها ، وتقويم اعوجاجها ، وقيادتها إلى بر الأمان وطريق السلامة . (١)

والقرآن أعظم دليل على إقرار النبوة وتثبيت أركانها، وقد جاء صراحة في آيات تفوق الحصر تبين صدق رسول الله ﷺ وأنه نبي حقا. قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢). وقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(٣). وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"فتقرير النبوات من القرآن الكريم أعظم من أن يُشرح في هذا المقام، إذ ذلك هو عماد الدين، وأصل الدعوة النبوية، وينبوع كلّ خير، وجماع كلّ هدى" (٥).

وأما معجزاته الأخرى التي شاهدها معاصروه فهي أكثر من أن تحصر . كتكثير الطعام في يده ، وجريان الماء وتسبيح الطعام بين يديه ، ومخاطبة الجماد (٦)، ومخاطبة الحيوان

(١) انظر :كتاب الشفا : ١/ ٢٣٤-٢٤٤ . الإتقان : ٢/ ٣٢٢ - ٣٢٣ .
(٢) سورة آل عمران الآية: ٦٨.
(٣) سورة آل عمران الآية: ٨١.
(٤) سورة الأعراف الآية: ١٥٨.
(٥) العقيدة الأصفهانية : ص: ١٩٥ .
(٦) انظر : صحيح البخاري : ص : ٧٥٣-٧٥٥ .

الحيوان له وغير ذلك [1].

وأما بشارات الأنبياء السابقين فقد صرح القرآن في جملة من آياته إلى أن الكتب السابقة تحمل البشارة بنبوته . فإن اليهود كانوا يستفتحون به قبل هجرته إلى المدينة ، وكان كفار العرب يعرفون ذلك . قال تعالى :﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [2]. وإن كان معرفة اليهود به أشد وأبلغ. قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [3] . بل بين سبحانه أن البشارة به جاءت في التوراة كما جاءت في الإنجيل. فقال سبحانه:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [4]. وقال تعالى :﴿ ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [5].

ويؤيد ذلك ما قاله أبو طالب في مدحه ﷺ :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا نبياً كموسى خط في أول الكتب [6]

وفي هذا دلالة واضحة على أنهم عثروا عليه في الكتب السماوية السابقة.

وقد آمن به جماعة من اليهود والنصارى في حياته مستدلين على إيمانهم به بما وجدوه

(١) انظر : سنن أبي داود : ص : ٢٨٩ .
(٢) سورة البقرة ٨٩ ، انظر : تفسير الطبري : ٤١٠/١ . تفسير البيضاوي : ٣٥٩/١ . تفسير ابن كثير : ١٢٥/١ . تفسير أبي السعود : ١٢٨/١ .
(٣) سورة البقرة الآية : ١٤٦.
(٤) سورة الأعراف الآية:١٥٧.
(٥) سورة الصف الآية: ٦.
(٦) سيرة ابن إسحاق : ١٣٨/٢ . السيرة النبوية لابن هشام : ١٩٧/٢ . البداية والنهاية : ٨٧/٢ .

في التوراة والإنجيل كعبد الله بن سلام ، والنجاشي وغيرهما . بل احتج القرآن على مشركي العرب بمعرفة أهل الكتاب له ، وفي ذلك علامة ودلالة على ثبوت نبوته . فقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[(١)] وإن كان التوراة والإنجيل اللذان عند اليهود والنصارى الآن دخلهم التحريف والتبديل إلا أن بعض أهل العلم أثبتوا بقاء بعض تلك البشارات فيها مع محاولة اليهود والنصارى طمس معالمها .

وأما الشواهد والبراهين من سيرته وأخباره فهي كم هائل وكثرة لا تحصى. من ذلك :

[١] أن النبيﷺ قد نشأ أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، وعرف عند قومه جميعاً بالصدق والأمانة ، ولم يكن على علم بشيء من القرآن، ولا الرسالات السابقة ، كما قال الله تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[(٢)].وقال تعالى:﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[(٣)]. ومع هذا جاء بالهداية التامة ، والشرع الكامل .[(٤)]

[٢] أخبر ﷺ بكثير من أمور الغيب التي ستقع فوقعت كما ذكر . بل أخبر بما يحدث لأمته من بعده من عز ونصر وتمكين فكان كما قال[(٥)].

[٣] كانت سيرته مثالاً كاملاً لكل الصفات المحمودة والأخلاق الكريمة ، والسجايا الحسنة التي شهد له بها أعداؤه قبل أصدقائه .

[٤] حبه العظيم الذي امتلأت به جوانح أهل الإيمان منذ أن بعثه الله وإلى يومنا

---

(١) سورة الشعراء١٩٧الآية،انظر: تفسير الطبري : ١١٣/١٩ . تفسير القرطبي : ١٣٩/١٣ . تفسير ابن كثير : ٥٢٢/٢، ٣٤٩/٣ .
(٢) سورة الشورى الآية:٥٢.
(٣) سورة هود الآية: ٤٩.
(٤) انظر : تفسير البغوي : ١٣٢/٤ . تفسير القرطبي : ٥٩/١٦ . تفسير ابن كثير : ١٢٣/٤ . فتح القدير : ٥٤٥/٤
(٥) انظر : كتاب الشفا : ٢٩٨/١-٣٠٦ .

هذا ، وما يكنوه له من تبجيل واحترام وتعظيم وولاء ، يتمنى أحدهم أن يفديه بنفسه وماله وولده [١].

[٥] لم يعرف التاريخ رجلاً عرفت سيرته ودقائق حياته بل حتى علاقته بزوجاته وأهل بيته ، بل حفظ التاريخ له حركاته وسكناته وضحكاته وغضبه وفرحه . ولم يتأتى ذلك لأحد من البشر سواه .

[٦] لم يعرف العالم بأسره رجلاً يقتدي به الناس في أقواله وأفعاله وسلوكه ويطبقون ذلك ويلتزمون به، ويطيعون أمره ويجتنبون نهيه مثل رسول الله ﷺ منذ أن بعث وإلى يومنا هذا.

[٧] لقد اتبعه على هذا الدين أصناف من الناس من كافة الأجناس والألوان والشعوب، ولقي بعضهم في إتباعه من الاضطهاد والأذى والقتل ، ومع ذلك لم يفارقوا دينه اقتناعاً به وإيماناً بصدقه . ومن أولئك أهل الرأي والحكمة والنظر والبصيرة والعلماء والعقلاء.

[٨] جاء بدين كامل في كل جوانبه العقائدية والتعبدية والأخلاقية والسلوكية وجانب المعاملات بحيث لا يمكن لأحد أن يجد ثغرة فيه تحتاج إلى ترميم وإصلاح .

وكل ما سبق يوضح بجلاء صدق نبينا ﷺ وأنه كان نبياً حقاً ، ولم يكن دعياً ولا كاذباً ، بل كل فضل ثبت لنبي سابق فلرسولنا منه الحظ الأوفر ، والقسط الأكبر . ولكن أعداء الله يجورون ويظلمون . وقدحهم في نبوته يقدح في نبوة رسلهم لو كانوا يعلمون.

(١) انظر : المرجع السابق : ٢/٢٩-٣٢ .

المطلب الثاني: عموم رسالة النبي ﷺ:

إن رسالة نبينا ﷺ رسالة عامة لكل زمان ومكان، ولكل أمة وجيل، بل للخلق كافة من الجن والإنس في كل عصر ومصر ووقت.

قال سبحانه في شأنها : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١).

وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي بأنه رسول الله إليهم جميعاً، وهذا يقتضي عموم رسالته إلى الناس كافة لا كغيره من الرسل الذين كانوا يبعثون إلى أقوامهم خاصة. (٢)

قال ربنا سبحانه : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾.(٣) أي أوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من أسود وأحمر ، أو من جن وإنس ، أو لأنذر به الموجودين ومن سيوجدون إلى قيام الساعة . وفي هذا دليل على شمول أحكام القرآن وعمومها للموجودين وقت نزوله ومن سيوجدون من بعدهم(٤).

ونحو ذلك قوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥). وقوله جل في علاه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٦).

(١) سورة الأعراف الآية: ١٥٨.
(٢) انظر : تفسير الطبري : ٨٦/٩ . تفسير ابن كثير : ٣/١ ، ٣٥٥ ، ٢٥٥/٢-٢٥٦ . فتح القدير : ٢٥٤/٢ .
(٣) سورة الأنعام الآية: ١٩.
(٤) انظر : تفسير البغوي : ٨٩/٢ . تفسير البيضاوي : ٣٩٨/٢ - ٣٩٩ . فتح القدير : ١٠٥/٢.
(٥) سورة سبأ الآية : ٢٨.
(٦) سورة لفرقان الآية:١.

ومثلها قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١).

وقوله : {إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ } (٢). وقوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (٣)

واستدل الشنقيطي في أضواء البيان بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ (٤) فقال :"صرح تعالى في هذه الآية الكريمة أن هذا القرآن لا يكفر به أحد كائناً من كان إلا دخل النار ، وهو صريح في عموم رسالة نبينا إلى جميع الخلق " (٥).

ورسالته ﷺعامة من جهتين : من جهة المرسل إليهم فقد كان الأنبياء ممن قبله ﷺ يُبعثون إلى قومهم خاصة، وبعث ﷺ إلى الناس عامة . ومن جهة الزمان ، فإن رسالته ﷺ باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأما رسالة من قبله ﷺ؛ فإن النبي كان يُبعث برسالة مؤقتة إلى أمد معين.

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة " (٦).

وهذه النصوص كلها تفيد عموم رسالته ﷺ وأنه لم يخاطب بها نوعاً خاصاً من البشر ، بل خاطب بها الناس جميعاً ، ولم يخاطب بها جيلاً محدوداً ، بل خاطب بها كل الأجيال ، ولم يخاطب عصراً مضى ، بل خاطب كل العصور ، ولم يخاطب لوناً محدداً بل

(١) سورة الأنعام الآية : ٩٠.
(٢) سورة ص الآية: ٨٧.
(٣) سورة النساء الآية: ٧٩.
(٤) سورة هود : ١٧.
(٥) أضواء البيان : ١٧٥/٢ .
(٦) صحيح البخاري : كتاب التيمم (الطهارة) (٧) . باب التيمم (١) . رقم الحديث : (٣٣٥) . ص : ٨٧
صحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : (٥) . رقم الحديث : (٥٢١) . ٣٧٠/١-٣٧١ .

خاطب بها الأحمر والأسود ، ولم يخاطب نفسية معينة ومزاجاً معيناً بل خاطب كل النفوس وكل الأمزجة وجميع القلوب .

ورسالته ﷺلم تكن محصورة في البشر بل طالت الجن أيضاً . فقد قال المؤمنون منهم في قوله تعالى : ﴿ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١) وقد وجه دعوته ﷺ إلى الخلق كافة ، فقد دعا اليهود والنصارى كما دعا العرب وسائر الأمم للاستجابة له .

قال تعالى : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ (٢) . وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ (٣). فأمن به كثير من اليهود وكثير من النصارى . بل أمر بقتال من لم يؤمن به، ويستجيب له. قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ (٤) . ولذا أرسل لهم الكتب كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه : " أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ " (٥)، وسير لهم الجيوش كما حدث في

---

(١) سورة الأحقاف الآية:٣١.
(٢) سورة آل عمران :٦٤.
(٣) سورة النساء الآية: ١٧١.
(٤) سورة التوبة الآية: ٢٩.
(٥) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير:(٣٢).باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل:(٢٧). حديث رقم :(١٧٧٤). ١٣٩٧/٣ .

غزوة موتة [١] وتبوك [٢]. بل حذر ﷺ من سمع به منهم ولم يؤمن به فقال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار " [٣].

أي لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ممن هو موجود في زمني أو بعدي إلى يوم القيامة ثم لا يؤمن بي إلا عذب . وإنما ذكر اليهود والنصارى لأن لهم كتباً ، فإذا كان هذا شأنه مع من له كتاب فغيره ممن لا كتاب له أولى . [٤]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" إنه من المعلوم بالضرورة لكل من علم أحواله بالنقل المتواتر الذي هو أعظم تواتراً مما ينقل عن موسى وعيسى وغيرهما، وبالقرآن المتواتر عنه، وسنته المتواترة عنه، وسنة خلفائه الراشدين من بعده أنه ذكر أنه أرسل إلى أهل الكتاب اليهود والنصارى، كما ذكر أنه أرسل إلى الأميين، بل ذكر أنه أرسل إلى جميع بني آدم : عربهم وعجمهم، من الروم والفرس والترك والهند والبربر والحبشة وسائر الأمم، بل إنه أرسل إلى الثقلين: الجن والإنس جميعاً. وهذا كله من الأمور الظاهرة المتواترة عنه، التي اتفق على نقلها عنه أصحابه، مع كثرتهم وتفرق ديارهم وأحوالهم، وقد صحبه عشرات وألوف لا يحصي عددهم على الحقيقة إلا الله تعالى ، ونقل ذلك عنهم التابعون ، وهم أضعاف الصحابة عدداً ، ثم ذلك منقول قرناً بعد قرن إلى زمننا مع كثرة المسلمين وانتشارهم في مشارق الأرض ومغاربها ، كما أخبر بذلك قبل أن يكون ، فقال في

---

(١) موتة: قرية على مشارف الشام ، جرت عندها معركة شهيرة بين المسلمين والروم قتل فيها زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة ثم انسحب خالد بن الوليد بالجيش. انظر: معجم البلدان : ٢٢٠/٥ .

(٢) تبوك : موضع بين وادي القرى والشام . وغزوة تبوك هي آخر غزوة غزاها النبي ﷺ وكانت في مواجهة الروم الذين تجمعوا هناك ، ثم تفرقوا فلم يقع قتال ، وذلك في العام التاسع للهجرة . وهي اليوم مدينة معروفة من مدن المملكة العربية السعودية . انظر : معجم البلدان : ١٤/٢-١٥ . معجم ما استعجم : ٣٠٣/١ .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : (١) باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس ، ونسخ الملل بملته : (٧٠) برقم : (١٥٣) ، ١٣٤/١ .

(٤) انظر : شرح النووي على مسلم : ١٨٨/٢ .

الحديث الصحيح : " زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها " [(١)].

فقد استوعبت رسالته عليه السلام جميع شئون الحياة الدنيا والآخرة فلم تكن كالأديان السابقة والفلسفات المتناقضة، والمذاهب المختلفة، بل استوعبت جميع ما تحتاج له الأمم والشعوب والطبقات بل والأفراد في كل مصر وعصر.

خاطبت الإنسان في روحه وجسده وعقله وضميره وفي كل مراحل حياته ، بل وبعد انتقاله من هذه الدنيا خاطبته في قبره وفي أخراه .

وهي رسالة قادرة على البقاء والاستمرارية لأنها تحقق مصالح العباد في العاجل والآجل لما حوته من أحكام عامة وقواعد شاملة وأصول كاملة تندرج تحتها كل أمور وأحوال الناس . وفيها أحكام تفصيلية تراعي ظروف وتغيرات الأحوال .

وقد أمرت بكل ما هو طيب ونهت عن كل ما هو قبيح ، وجاءت بما خلى منه غيرها من شرائع البشر ، ففيها العدل والمساواة والشورى والأمر بالخير والبر وحسن الأخلاق ، وهي سليمة من الظلم والبغي والعدوان وغير ذلك مما هو ذميم . وهذا يبين عمومها ودوامها .

المطلب الثالث: ختم النبوة بالنبي ﷺ

خَتم الشيء: آخره، و خِتامُ القوم وخاتِمهم وخاتَمهم: آخرهم. يقال: خَتَم الشيء يختمه ختماً بلغ آخره. [(٢)]

وختم النبوة : عقيدة إسلامية بأن محمدا ﷺ هو آخر الأنبياء وخاتم النبيين، وأن

(١) الجواب الصحيح : ١/١٦٢-١٦٤ . والحديث جزء من حديث ثوبان رضي الله عنه وقد سبق تخريجه .
(٢) انظر : القاموس المحيط : ص : ١٤٢٠ . مختار الصحاح : ص : ٧١.

الدين به قد أكمل وأن رسالة الإسلام هي الرسالة الأخيرة الخاتمة .

لقد اكتمل بنيان النبوة التي كان حجر أساسها آدم عليه السلام بمبعث النبيّ الخاتم محمد – ﷺ – الذي به اكتمل بناء الإسلام وتمت شريعته .

قال تعالى : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾(١)ووضوح ختم النبوة عند الصحابة أدى بهم إلى تكذيب كل مدعي لها كمثل مسيلمة الكذّاب (٢) والأسود العنسي (٣) .وسجاح (٤) وطليحة الأسدي (٥) والمختار الثقفي(٦).ولذا سخر عبد الله بن الزبير من دعوى المختار نزول الوحي عليه فقال صدق،ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴾.(٧)

وقد بكت أم أيمن لما زارها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وعللت بكاءها بانقطاع الوحي من الأرض . عن أنس قال : " قال : أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة

---

(١) سورة المائدة الآية: ٣.

(٢) هو مسيلمة بن ثمامة بن كثير بن حبيب أبو ثمامة ، ارتد بعد إسلامه ، ثم تنبأ وكذب وزعم أنه أشرك في النبوة ، وتبعه كثيرون ، ثم قتل بعد معارك طاحنة في السنة الثانية عشرة للهجرة . انظر : البدء والتاريخ : ١٦٠/٥ . المنتظم : ٢٠/٤ . البداية والنهاية : ٥٠/٥ . الطبقات الكبرى : ٢٧٣/١ . وفيات الأعيان : ٦٧/٣ .

(٣) هو عبهلة بن كعب بن غوث ذو الخمار ، كان كاهناً مشعوذاً ، ادعى النبوة فضل به خلق كثيرون ، عظم شره ، واستوثقت له اليمن بكمالها ، وقويت شوكته . قتل غيلة في العام الحادي عشر للهجرة وتفرق أتباعه . انظر : البدء والتاريخ : ١٥٣/٥ . المنتظم : ١٨/٤ . وفيات الأعيان : ٦٦/٣ . العبر : ١٠/١ . البداية والنهاية : ٣٠٧/٦ . شذرات الذهب : ١٣١/١ .

(٤) هي سجاح بنت الحارث بن سويد أم صادر التغلبية ، الساحرة ، من نصارى العرب ، ادعت النبوة ، ووازرها قومها . أسلمت أيام عمر ، وحسن إسلامها . انظر : البدء والتاريخ : ١٦٤/٥ . المنتظم : ٢٢/٤ . وفيات الأعيان : ٦٧/٣ . البداية والنهاية : ٥١/٥ .

(٥) هو طليحة بن خويلد بن نوفل الأسدي الصحابي ، أسلم ثم ارتد وتنبأ بنجد ، وزعم أن ذا النون يأتيه بالوحي ، وعظم أمره ، له حروب عديدة مع المسلمين انتهت بهزيمته ، ثم رجع إلى الإسلام ، وحسن إسلامه . واستشهد بنهاوند في العام الحادي والعشرين من الهجرة . انظر : البدء والتاريخ : ١٥٧/٥ . المنتظم : ٢٤/٤ . وفيات الأعيان : ٦٧/٣ . سير أعلام النبلاء : ٣١٦/١ . العبر : ١١/١ . البداية والتهاية : ٣١٧/٦ . الإصابة : ٥٤٢/٣.

(٦) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي أبو إسحاق . بايع عبد الله بن الزبير ثم ذهب إلى العراق فدعا لمحمد بن الحنفية وادعى مناصرة أهل البيت ، وقتل قتلة الحسين رضي الله عنه . وزعم أنه المهدي المنظر ، ثم ادعى النبوة فاجتمع له خلق كثير من الشيعة . قتله مصعب بن الزبير سنة ٦٧هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٩٨/٥ . البدء والتاريخ : ١٥/٦ . المنتظم : ٢٩/٦ . البداية والنهاية : ٢٤٩/٨ . الإصابة : ٣٤٩/٦ . الأعلام : ١٩٢/٧.

(٧)سورة الشعراء الآيات:٢٢١-٢٢٣. وانظرتفسير الطبري : ١٢٥/١٩ .

رسول الله ﷺ لعمر انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها . فلما انتهينا إليها بكت . فقالا لها : ما يبكيك ؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ . فقالت : ما أبكي أن لا أكون أعلم إن ما عند الله خير لرسوله ﷺ ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء . فهيجتهما على البكاء . فجعلا يبكيان معها " [1].

والدافع لهؤلاء كي يقفوا ذلك الموقف ما جاء صراحة في القرآن بما يدلل على ختم النبوة ، وذلك في قوله سبحانه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [2]. فالآية نص على ذلك لا يقبل التأويل ، وقد أشارت إلى حقيقة أثبتها التاريخ ، إذ لم يكن لرسول الله ﷺ ابن عاش حتى بلغ حد التكليف ليرث نبوته كما فعل أنبياء سابقون فقد مات أبناؤه صغاراً فصدق قوله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾. ويؤيد هذا قول ابن أبي أوفى رضي الله عنه : "مات صغيراً ـ يعني إبراهيم ابن النبي ﷺ ـ ولو قضى أن يكون بعد محمد ﷺ نبي عاش ابنه ، ولكن لا نبي بعده " [3]. وختم النبوة دال على ختم الرسالة لأن النبوة أعم ، فهو إذن ختم النبوة والرسالة معاً.

قال الطبري مبيناً الآية :

" يقول تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده محمد فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء " [4] .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : (٤٤) . باب فضائل أم أيمن رضي الله عنها : (١٨) . برقم : (٢٤٥٤) . ١٩٠٧/٤-١٩٠٨.
(٢) سورة الأحزاب الآية: ٤٠.
(٣) صحيح البخاري : كتاب الأدب : (٧٨) . باب من سمي بأسماء الأنبياء : (١٠٩) . برقم : (٦١٩٤) ص : ١٣٢٣ .
(٤) تفسير الطبري : ١٦/٢٢ .

وقال ابن كثير :

" فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس وبذلك وردت الآحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم " [1].

وقد جاءت الأحاديث عنه ﷺ التي بلغت حد التواتر كما أشار إلى ذلك ابن كثير رحمه الله تؤكد هذه الحقيقة ، وتقطع بذلك الأمر .

من ذلك :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)) [2].وفي لفظ لمسلم عن جابر عن النبي ﷺقال:((مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة قال رسول الله ﷺ فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء)) [3].

ومثله قوله ﷺ في رواية أبي هريرة رضي الله عنه : ((مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه ، وترك منه موضع لبنة ، فطاف به نظّار فتعجبوا من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة ،لا يعيبون غيرها فكنت أنا موضع تلك اللبنة ، ختم بي الرسل)) [4] . فقد

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤٩٤/٣ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب المناقب : (٦١) . باب خاتم النبيين ﷺ : (١٨) . برقم : (٣٥٣٥) . ص : ٧٤٧ . صحيح مسلم : كتاب الفضائل : (٤٣) . باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين : (٧) . برقم : (٢٢٨٦) . ١٧٩٠/٤ .

(٣) صحيح مسلم . في الكتاب والباب السابقين . برقم : (٢٢٨٧) . ١٧٩١/٤ .

(٤) صحيح ابن حبان : برقم : (٦٤٠٦) . ٣١٦/١٤ . قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

كان آخر لبنة في بنيان النبوة بحيث لا يوجد مكان شاغر لنبي آخر . عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ((فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون)) [(١)]. فقد فضل ﷺ في الحديث على الأنبياء بختمه للنبوة كما فضل بغير ذلك مما ذكر .

وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: ((إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي قال فشق ذلك على الناس فقال لكن المبشرات قالوا يا رسول الله وما المبشرات قال رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة)) [(٢)].

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ لعلي:((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))[(٣)].

وعن جبير بن مطعم أن النبي ﷺ قال : ((أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحى بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي وأنا العاقب)) [(٤)]. والعاقب الذي ليس بعده نبي والأمة لا حاجة لها بعده لمبعث نبي آخر لأنه وجد فيها من يحمل رسالته ويبلغها إلى الخليقة وينشرها بينها .

وفي حديث ثوبان رضي الله عنه : ((وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : (٥) . برقم : (٥٢٣) . ٣٧١/١ .

(٢) سنن الترمذي : كتاب الرؤيا : (٣١) . باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات : (٢) . برقم : (٢٢٧٢) . ص : ٣٧٦ . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وقال الألباني : صحيح الإسناد . مسند أحمد : ٢٦٧/٣ . مستدرك الحاكم : برقم : (٨١٧٨) ٤٣٣/٤ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٣)صحيح البخاري : كتاب المغازي : (٦٤) باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة : (٧٨) . برقم : (٤٤١٦) . ص : ٩١٧ . صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : (٤٤) . باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (٤) . برقم : (٢٤٠٤) . ١٨٧٠/٤ .

(٤) صحيح البخاري : كتاب التفسير : (٦٥) . سورة الصف . باب قوله تعالى : " من بعدي اسمه أحمد " : (٦) .برقم : (٤٨٩٦) . ص : ١٠٦٧ . صحيح مسلم : كتاب الفضائل : (٤٣) باب في أسمائه ﷺ : (٣٤) برقم : (٢٣٥٤) . ١٨٢٨/٤ .

كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي))[١].

فكل من ادعى النبوة بعده فهو كذاب دجال باطل ادعاؤه ، لا حقيقة لما زعم .لأنه ﷺ بين أنه لا نبي بعده أبداً .

قال ابن كثير رحمه الله :

" فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الحنيف له وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ولو تحرق وشعبذ[٢] وأتى بأنواع السحر[٣] والطلاسم[٤] والنيرنجيات[٥] فكلها محال وضلال عند أولي الألباب "[٦].

والنصوص الواردة في ذلك كثيرة جداً بلغت حد التواتر كما سبق ذكره ، وقد أجمعت الأمة على تكذيب من يدعي النبوة واعتبروا ذلك مفارقةً للإسلام ، وأوجبوا عليه حدّ الرّدة .

قال الألوسى رحمه الله :

" وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب وصدعت به السنة وأجمعت

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الفتن والملاحم : (٣٤) . باب ذكر الفتن ودلائلها : (١) . برقم : (٤٢٥٢) . ص : ٣٦٤ . سنن الترمذي : كتاب الفتن : (٣٠) . باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون : (٤٣) . برقم : (٢٢١٩) . وقال : هذا حديث حسن صحيح . ص : ٣٦٧ . سنن ابن ماجه : كتاب الفتن : (٣٦) . باب ما يكون من الفتن : (٩) . برقم : (٣٩٥٢) . ص: ٤٢٤-٤٢٥ . والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي في المستدرك : ٤٩٦/٤ . وصححه الألباني أيضاً . وأصله في صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة : (٥٢) . باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض : (٥) . برقم : (٢٨٨٩) . ٤/ ٢٢١٥ .

(٢) الشعبذة هي الشعوذة خفة في اليد وأخذ كالسحر يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين . القاموس المحيط : ص :٤٢٧ .

(٣) السحر الأخذة وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر . مختار الصحاح ص :١٢٢ .
والسحر يقال على معان : الأول تخيلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعوذة . الثاني استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه . الثالث ما يغير الصور والطبائع . التعاريف ص : ٣٩٩ .

(٤) الطلسم نوع من السحر معقد يستخدم فيه القوى الروحانية . انظر : أبجد العلوم : ٣٦٧/٢ .

(٥) النيرنجيات نوع من السحر يستخدم فيه خواص الكتابة مع بعض الأدوية الطبيعية. انظر: أبجد العلوم: ١٥/٢ .

(٦) تفسير القرآن العظيم : ٤٩٥/٣ .

عليه الأمة فيكفر مدع خلافه، وما كان لمسلم أن يؤول القرآن والسنة الصحيحة تأويل من لا ينصح لله ورسوله ليجيب داعية هوى في نفسه "[1].

وهنالك دلالات واضحة على ختم النبوة . منها على سبيل التمثيل لا الحصر :

[١] القرآن الكريم أعظم شاهد على ذلك ، إذ الإعجاز والتحدي قائم به أبداً لا يغيب عن الأرض وأهلها ، خلافاً لمن سبقه من أنبياء الله فإن آياتهم آنية موقوتة بزمان لا تتعداه . فإن القرآن محفوظ بحفظ الله له ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2]. ولا يصل إليه تبديل ولا تحريف لأن الله ضمن له البقاء . قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾[3]. فنبوة رسول الله ﷺ باقية بقاء القرآن .

[٢] اختار الله عز وجل دين الإسلام ليكون الرسالة الخاتمة فارتضاه للبشرية جمعاء ، وأكمله لها وأتمه ليبقى بقاء البشرية فكان مناسباً لكل زمان ومكان . قال سبحانه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينٗا ﴾[4]. وقال عز وجل : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[5] .

إن عقيدة ختم النبوة عقيدة مستقرة عند أهل الإسلام ، من أنكرها أنكر ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام ، وهو بذاك الإنكار يخرج من ملة الإسلام فيكون كافراً حلال الدم . ومع هذا فإن أعداء الله عز وجل لم تطب نفوسهم إلا أن يكيدوا لهذا الدين فسولوا للبلهاء ممن ينتسب لهذا الدين جهلاً بما يؤدي إلى زعزعة تلك العقيدة

(١) روح المعاني : ٤١/٢٢ .
(٢) سورة الحجر الآية: ٩.
(٣) سورة فصلت الآيات: ٤١ ـ ٤٢.
(٤) سورة المائدة الآية: ٣.
(٥) سورة آل عمران الآية: ٨٥.

الراسخة في نفوسهم ، فكانت القاديانية [١] التي ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في بلاد الهند ، وهي من أبرز الطوائف التي أنكرت ختم النبوة ، وقد ساند الصليبيون المستعمرون مرزا غلام أحمد القادياني [٢] في إظهار دعوته الآثمة بإنكار ختم النبوة فقدم نفسه باعتباره مصلحاً ثم مهديا ثم المسيح الموعود وأخيراً نبيا ورسولاً. ومثل هذا فعلته البهائية [٣] في إيران حيث أنكرت عقيدة ختم النبوة أيضاً . ولهذين الطائفتين أتباع كثر ولكنهم لا يعدون من المسلمين وإن ادعوا ذلك .

المطلب الرابع: عصمة النبي ﷺ

إن أنبياء الله هم الصفوة المختارة من البشر ، وهم الذين وكل الله إليهم تبليغ دينه للناس ، فجعلهم واسطة بينه وبين عباده يبينون شرعه ، ويوضحون أمره ، ويحذرون من نهيه . وكانوا أعظم الخلق أمانة ، وأصدقهم لهجة ، وأقومهم حجة ، أكرمهم الله بحسن السجايا ومكارم الأخلاق ، فكانوا أحرص الناس على القيام بما كلفوا به ، وأداء ما ائتمنوا عليه . قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ [٤] . ولذا أحاطهم الله بسياج من الحفظ وهالة من العصمة والصون ليصل بلاغهم إلى عباد الله كما يحب ويرضى دون نقص ولا زيادة ، ولا تحريف ولا تبديل.

---

(١) القاديانية حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم . وحوت بين طياتها لميماً من العقائد والعبادات المنحرفة والساذجة المناهضة لدين الإسلام . انظر : الموسوعة الميسرة : ص ك ٣٨٩ .

(٢) هو مؤسس القاديانية في الهند وكان أداة في يد الإنجليز ، عرفت أسرته بخيانة الدين والوطن ، وعرف هو باختلال المزاج ، وكثرة الأمراض ، وإدمان الخمور ، وله مجموعة من المؤلفات التي زعم فيها أنه المسيح الموعود ، وأن النبوة لم تختم بمحمد ﷺ ، وأن جبريل ينزل عليه بالوحي ، وله قرآن ودين غير دين الإسلام . توفي سنة١٩٠٨م . انظر : المرجع السابق : ص: ٣٨٩ .

(٣) البهائية : حركة فكرية عقائدية نشأت سنة ١٢٦٠هـ - ١٨٤٤م . تحت رعاية الاستعمار الروسي والإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية ، وتفكيك وحدة المسلمين ، وصرفهم عن قضاياهم الأساسية . انظر : الموسوعة الميسرة : ص : ٦٣-٦٤ .

(٤) سورة الأنعام الآية: ٨٩.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فإن الآيات الدالة على نبوة الأنبياء دلت على أنهم معصومون فيما يخبرون به عن الله عز وجل فلا يكون خبرهم إلا حقاً وهذا معنى النبوة وهو يتضمن أن الله ينبئه بالغيب وأنه ينبئ الناس بالغيب والرسول مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربه " (١).

ومن هنا يأتي الحديث عن عصمة الأنبياء . خاصة وأن بعض أعداء الله أرادوا أن يشوهوا أنبياء الله برميهم بما هم منه براء ، بل أرادوا أن ينالوا من إمام الأنبياء محمد ﷺ فعدوا على عصمته فطعنوا فيها ليجردوه منها ، ثم يزعمون أنه بشر كبقية البشر في ارتكاب الحثالات فلا يستقيم له أمر النبوة . ولكنهم ضلوا فيما زعموا ، وأخطأوا فيما أرادوا وهدفوا ، فعادوا خاسرين ، وضل سعيهم ، وفسد أمرهم .

وعصمة الأنبياء تنقسم إلى قسمين :

[١] العصمة في تبيلغ الدين .

[٢] العصمة من الأخطاء البشرية .

أما العصمة في تبليغ الدين فإن أمة الإسلام مجمعة على أنهم معصومون في جميع ما يبلغونه عن الله ، فلا يزيدون حرفاً ولا ينقصون ، ولا يكتمون شيئاً مما كلفوا بتبليغه . قال تعالى عن رسولنا ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٢) .

فأمره بتبليغ ما كلف به ، وحذره من كتمان شيء منه ، وضمن له العصمة في حالة التبليغ ، وقد فعل ﷺ (٣). وقال رب العزة له : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ (٤) . وفي هذا وعيد شديد

---

(١) مجموع الفتاوى : ٧/١٨.
(٢) سورة المائدة الآية: ٦٧.
(٣) انظر : تفسير البيضاوي : ٢/٣٤٧-٣٤٨ . تفسير القرطبي : ٢/٢٤٢-٢٤٣ . تفسير ابن كثير : ٢/٧٨ .
(٤) سورة الحاقة الآيات : ٤٤- ٤٧.

، وتهديد أكيد إن خالف ما أمره الله به فبدل أو غير ما كلف به .

قال السعدي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾[1].

" وما هو على ما أوحاه الله إليه بشحيح ، يكتم بعضه ، بل هو – ﷺ – أمين أهل السماء ، وأهل الأرض ، الذي بلغ رسالات ربه ، البلاغ المبين ، فلم يشح بشيء منه ، عن غني ولا فقير ، ولا رئيس ولا مرؤوس ، ولا ذكر ولا أنثى ، ولا حضري ولا بدوي "[2] .

فالنبي في تبليغه لدين ربه وشريعته لا يخطئ في شيء ألبتة لا كبير ولا صغير ، بل هو معصوم دائماً من الله تعالى .

وبين الله سبحانه أن ما يبلغه وحي من عند ربه ليس بخاضع للآراء والاجتهادات، بل يجب وصوله إلى الناس كما خوطب به فقال تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[3].

والنبي ﷺ لا ينسى شيئاً مما أوحاه الله إليه البتة لأن الله حفظه من النسيان كما قال سبحانه : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[4]. وجمع له في قلبه فلا يغيب عنه أبداً . وفي ذلك يقول ربنا : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[5]

هذا بالنسبة للتبليغ أما ما يصدر من الأنبياء من أخطاء بشرية فهي تختلف حسب نوع تلك الأخطاء . وقد قسمها أهل العلم إلى ثلاثة أنواع ، وبينوا حال الأنبياء مع كل نوع منها :

---

(١) سورة التكوير الآية:٢٤.
(٢) تيسير الكريم الرحمن : ص : ٨٤٥ .
(٣) سورة النجم الآيات :١ ـ ٥.
(٤) سورة الأعلى الآية: ٦.
(٥) سورة القيامة ،وانظر : تفسير الطبري : ١٨٨/٢٩ .تفسير القرطبي : ١٠٦/١٩ . تفسير ابن كثير : ٤٥٠/٤ .

الأول : حالهم مع كبائر الذنوب :

إن الأنبياء عليهم السلام معصومون من ارتكاب الكبائر مطلقاً ، ولا يتصور وقوعها منهم ألبتة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" إن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام ، وجميع الطوائف ... وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل لم يُنقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول " (1).

الثاني : حالهم مع صغائر الذنوب :

وأما صغائر الذنوب التي لا تدل على خساسة قدر ، وضعة منزلة فربما تقع منهم أو من بعضهم ، ولهذا ذهب بعض أهل العلم إلى أنهم غير معصومين منها ، وإذا وقعت منهم فإنهم لا يُقرون عليها بل ينبههم الله تبارك وتعالى عليها فيبادرون بالتوبة منها . (2)

وفي القرآن والسنة بعض الأدلة التي تبين وقوعها من الأنبياء ، ثم توبتهم منها وعدم إقرار الله لهم عليها . من ذلك :

[1] آدم عليه السلام :

قال تعالى في شأنه : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ (3).

فإن آدم عليه السلام عصى ربه بأكله من الشجرة التي حذر منها ، ولكنه

(1) مجموع الفتاوى : ٣١٩/٤ .
(2) وانظر : كتاب الشفا : ١٦٤/٢ فما بعدها . تفسير القرطبي : ٣٠٩/١ ، ٢٥٥/١١ .
(3) سورة طه الآيات : ١٢٠ـ ١٢٢.

تاب وقد عفا الله عنه مع لومه له .(1)

[٢] موسى عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(2) .

موسى عليه السلام وكز القبطي وهو لا يريد قتله ، ولكن أدت الوكزة إلى قتله ، فرجع موسى إلى ربه ، معترفاً بذنبه ، تائباً منه فغفر له ربه .(3)

[٣] داود عليه السلام :

قال الله عز وجل : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾.(4)

أختلف أهل العلم في الأمر الذي تاب منه داود عليه السلام . ذكر بعضهم أنه تسرع في الحكم والفصل بين الخصمين قبل أن يدلي الخصم الثاني بحجته . وقال بعضهم : إنه ترك مجلس الحكم بين الخصوم وتفرق للعبادة مما دعا هذين الخصمين أن

(1) انظر : تفسير الطبري : ٢٢٤/١٦ . تفسير البيضاوي : ٧٥/٤ . تفسير أبي السعود : ٤٧/٦ .
(2) سورة القصص الآيات : ١٥ ـ ١٦.
(3) انظر : تفسير البيضاوي : ٢٨٦/٤-٢٨٧ . تفسير القرطبي : ٢٦١/١٣ . دقائق التفسير : ١٢٠/٢ .
(4) سورة ص الآيات : انظر : تفسير الطبري : ١٤٦/٢٣ . زاد المسير : ١٢٤/٧ .

يتسوروا عليه المحراب . وقيل غير ذلك . والشاهد هنا أن داود عليه السلام تاب من أمر ما واستغفر الله منه فغفر له ربه وعفا عنه .(١)

[٤] محمد ﷺ :

عاتبه الله في مواضع من القرآن . منها :

ـ قوله قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (٢).

وذلك لما حرم العسل على نفسه في حادثة زوجاته معه ، فعاتبه الله على ذلك التحريم فرجع عما فعل إلى الله وأناب ، وكفر عن أيمانه وعاد إلى شرب العسل .(٣)

ـ وقوله قال سبحانه وتعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (٤).

وذلك لما قبل فداء الأسرى في بدر موافقة لقول أبي بكر رضي الله عنه ، وفي ذلك عجلة لقبول الفداء ، والإسلام في مبدئه .

قال السعدي رحمه الله :

" أي ما ينبغي ولا يليق به إذا قاتل الكفار الذين يريدون أن يطفئوا نور الله ويسعون لإخماد دينه وأن لا يبقى على وجه الأرض من يعبد الله أن يتسرع إلى أسرهم وإبقائهم لأجل الفداء الذي يحصل منهم وهو عرض قليل بالنسبة إلى المصلحة المقتضية لإبادتهم وإبطال شرهم فما دام لهم شر وصولة فالأوفق أن لا يؤسروا . فإذا أثخن في

---

(١) وانظر : التفسير الكبير : ١٨٩/٢٦-١٩٤ . محاسن التأويل : ٥٠٨٨/١٤-٥٠٩٣ .
(٢) سورة التحريم الآيات ١ـ ٢.
(٣) انظر : تفسير البيضاوي : ٣٥٤/٥ . تفسير القرطبي : ١٧٧/١٨ . تفسير ابن كثير: ٣٨٨/٤ .
٤) سورة الأنفال الآيات: ٦٧ ـ٦٩.

الأرض وبطل شر المشركين واضمحل أمرهم فحينئذ لا بأس بأخذ الأسرى منهم وإبقائهم " [1].

ـ وقوله تعالى : قَالَ تَعَالَى:﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴾ [2] .

هذا عتاب من الله له في حادثة عبد الله بن أم مكتوم الذي جاء إلى النبي ﷺ طالباً للحق والنبي يخاطب صناديد المشركين ظاناً أن المصلحة في مخاطبتهم دون ابن أم مكتوم فوبخه الله على ذلك .[3]

ــ قال رب العزة : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾.[4]

أي سامحك الله وغفر لك لما أذنت لأولئك المنافقين في التخلف عن القتال حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين بأن تمتحنهم ليتبين لك الصادق من الكاذب فتعذر من يستحق العذر ممن لا يستحق ذلك . [5]

هذا بعض المواضع التي عاتب الله فيها رسله لما وقع منهم ، ولم يقرهم عليه ، فأنابوا إلى الله فعفا الله عنهم .

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

" وعامة ما يُنقل عن جمهور العلماء أنهم (أي الأنبياء) غير معصومين عن الإقرار على الصغائر ، ولا يقرون عليها ، ولا يقولون إنها لا تقع بحال " [6].

(١) تيسير الكريم الرحمن : ص : ٢٨٧ .
(٢) سورة عبس الآيات ١ ـ١١.
(٣) انظر : تفسير الطبري : ٥٠/٣٠ . تفسير القرطبي : ٢١١/١٩ .
(٤) سورة التوبة الآية:٤٣.
(٥) انظر : تفسير البيضاوي : ١٤٨/٣ . تفسير ابن كثير : ٣٦١/٢ . فتح القدير : ٣٦٥/٢ .
(٦) مجموع الفتاوى : ٣٢٠/٤ .

ومعلوم أنه لم يقع ذنب من نبي إلا وقد سارع إلى التوبة والاستغفار، فالأنبياء لا يقرون على ذنب ، ولا يؤخرون توبة ، فالله عصمهم من ذلك ، وهم بعد التوبة أكمل منهم قبلها .

الثالث : حالهم في بعض الأخطاء في الأمور الدنيوية :

والحديث في هذه كالحديث في صغائر الذنوب فإن الخطأ قد يقع منهم في بعض أمور الدنيا إما من باب الاجتهاد منهم أو غلبة الظن ، ومع ذلك لا يقرون على خطأ فيها.

ومثال ذلك حديث تأبير النخل . عن موسى بن طلحة [(١)] عن أبيه قال مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل فقال : " ما يصنع هؤلاء " فقالوا يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح فقال رسول الله ﷺ : " ما أظن يغني ذلك شيئا " قال فأخبروا بذلك فتركوه فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال : " إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإني لن اكذب على الله عز وجل " [(٢)].

المطلب الخامس: محبة النبي ﷺ :

المحبة هي ميل القلب إلى ما يوافق المحبوب . [(٣)]

ومحبة رسول الله ﷺ واجب عظيم من واجبات الدين، وركن ركين من أركانه، وأصل أصيل من أصوله.لا يستقيم للعبد إيمان،ولا يصلح له إسلام ما لم يحب رسول

(١) موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي ، أبو عيسى ، أو أبو محمد المدني ، نزيل الكوفة ، ثقة جليل ، يقال إنه ولد في عهد النبي ﷺ . مات سنة ١٠٣ هـ . تقريب التهذيب : ٢٨٤/٢ . وانظر : الجرح والتعديل : ١٤٧/٨ . الكاشف : ٣٠٥/٢ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : (٤١) . باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي : (٣٨) . برقم : (٢٣٦١) . ١٨٣٥/٤ .

(٣) انظر : روضة المحبين : ص : ٢٠ .

الله ﷺ .قــال تعــالى:﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[١].

قال السعدي رحمه الله :

" وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله ، وعلى تقديمها على محبة كل شيء وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد على من كان شيء من المذكورات أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله . وعلامة ذلك أنه إذا عرض عليه أمران أحدهما يحبه الله ورسوله وليس لنفسه فيها هوى والآخر تحبه نفسه وتشتهيه ولكنه يفوت عليه محبوبا لله ورسوله أو ينقصه فإنه إن قدم ما تهواه نفسه على ما يحبه الله دل على أنه ظالم تارك لما يجب عليه "[٢].

فهذه آيةً عظيمة تبين أهمية ووجوب هذه المحبة .

وإذا كان المرء يحب نفسه ويسعى إلي إيصال كل ما هو محبوب لها فإن رسول الله أولى به من نفسه قال جل وعلا: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾[٣]. وحبه ﷺ طريق إلى حب الله ، وحب الله أصل الإيمان . قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤]. بل نفى ﷺ إيمان من لم يقدمه على محابه جميعاً فقال في حديث أنس رضي الله عنه : " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين "[٥] . وفي حديث عمر رضي الله عنه أبلغ دلالة على ذلك ، فإنه رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ : " يا رسول الله لأنت أحب

---

(١) سورة التوبة الآية : ٢٤.
(٢) تيسير الكريم الرحمن : ص : ٢٩٢-٢٩٣ .
(٣) سورة الأحزاب الآية : ٦.
(٤) سورة آل عمران الآية: ٣١.
(٥) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : (٢) . باب حب الرسول ﷺ من الإيمان : (٨) . برقم : (١٥) . ص : ١٧ . صحيح مسلم : كتاب الإيمان : (١) . باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والناس أجمعين ، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة : (١٦) . برقم : (٤٤) . ٦٧/١ .

إلي من كل شيءٍ إلا من نفسي ! فقال النبي ﷺ: " لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك " فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي ، فقال النبي ﷺ : " الآن يا عمر " [١]. ويؤيد ذلك حديث أنس رضي الله عنه الذي يقول فيه ﷺ : " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار " [٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما " وهذا من أصول الإيمان المفروضة ، التي لا يكون العبد مؤمنًا بدونها " [٣].

ومحبته ﷺ تتمثل في جوانب عدة لابد للمؤمن أن يقف عليها ، ليحققها ويسعد بنيلها . من ذلك :

[١] طاعته ﷺ فيما أمر وتصديقه فيما أخبر ، والانتهاء عما عنه نهى وزجر، وألا نعبد الله إلا بما شرع . وذلك هو الإتباع الذي قرره الله تعالى في كثير من الآيات . قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٤]. وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [٥]. ومن الأحاديث حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا يا رسول الله ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى " . [٦] والطاعة هي أعظم ثمرات المحبة وبها تتحقق ، ومن فقدها فهو

(١) صحيح البخاري : كتاب الأيمان والنذور : (٨٣) . باب كيف كانت يمين النبي ﷺ : (٣) . برقم : (٦٦٣٢) . ص : ١٤٠٥ .
(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : (٢) . باب حلاوة الإيمان : (٩) . برقم : (١٦) . ص : ١٧ . صحيح مسلم : كتاب الإيمان : (١) . باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان: (١٥). برقم: ٤٣) ٦٦/١ .
(٣) مجموع الفتاوى : ٧٥١/١٠ .
(٤) سورة آل عمران الآية: ٣١.
(٥) سورة الأحزاب الآية: ٢١.
(٦) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : (٩٦) . باب الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ : (٢) . برقم : (٧٢٨٠) . ص : ١٥٣٠ .

في ادعاء حبه كاذب .

إن كان حبك صادقاً لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع .[١]

قال النووي رحمه الله :

" ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسول الله ﷺ " [٢].

[٢] توقيره ﷺ وتبجيله واحترامه وتعظيمه التعظيم اللائق به . قال تعالى : ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [٣].

[٣] الثناء عليه بما هو أهله ، وأبلغ أنواع الثناء عليه الصلاة والسلام عليه والإكثار من ذلك . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٤]. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا " [٥]. وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : " البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي " [٦].

[٤] التحاكم لسنته ، وتعظيمها ، ونصرتها والذب عنها ، ورد الشبه التي وجهت إليها ، ونشرها ، وتعليمها للناس . قال تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٧].عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:((نضر الله امرأ سمع منا حديثا

---

(١) طريق الهجرتين : ص : ٤٤٤ . روضة المحبين : ص : ٢٦٦ .
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٣/٢ .
(٣) سورة الفتح الآية: ٩.
(٤) سورة الأحزاب الآية: ٥٦.
(٥) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : (٤) . باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد : (١٧) . برقم : (٤٠٨) . ٣٠٦/١ .
(٦) سنن الترمذيى كتاب الدعوات : (٤٤) . باب قول رسول الله ﷺ : رغم أنف رجل: (١٠٠) . برقم (٣٥٤٦) . ص : ٥٥٧ . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب . وقال الألباني : صحيح.
(٧) سورة النساء الآية: ٦٥.

فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيـه))(١).

وعن المقدام بن معد يكرب الكندي أن رسول الله ﷺ قـال : " يوشـك الرجـل متكئـا على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجـدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن مـا حـرم رسـول الله ﷺ مثل ما حرم الله " (٢).

[٥] التأدب معه إذا ذكر ، وتوقير اسمه ، ووصفه بما يليق به ، فيذكر بأنـه رسـول الله ، ونبي الله وخليل الله ، ولا ترفع الأصوات عنده ولا في مسـجده . قـال تعـالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًاۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (٤). وعن عمرو ابن العاص أنه قـال: " وما كان أحد أحب ألي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه ، ومـا كنـتُ أُطيـقُ أن أملأ عينيَّ منه إجلالاً له، ولو سُئلتُ أن أصِفَه ما أطقتُ؛ لأنِّي لم أكنْ أملأ عينيَّ منه. ولـو متُّ على تلك الحالِ؛ لرجوتُ أن أكونَ من أهلِ الجنّة! " (٥).

---

١ هذا حديث متواتر . انظر : دراسة وافية للشيخ عبد المحسن العباد في كتابه : دراسة حديث نضر الله امرءاً سمع مقالتي ... رواية ودراية . فقد ذكر له أربعة وعشرين صحابياً ممن رواه عن النبي ﷺ . وذكره السيوطي في قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواتر : ص : ٢٨ . وانظر بعض طرقه في : سنن أبي داود : برقم : (٣٦٦٠) . ص : ٤٠٤ . سنن الترمذي : برقم : (٢٦٥٧) (٢٦٥٨) . ص : ٤٣٠ . سنن ابن ماجه : برقم : (٢٣٠) (٢٣١) (٢٣٢) (٢٣٦) . ص : ٤٠ .

(٢) سنن أبي داود : كتاب السنة : (٣٩) . باب في لزوم السنة : (٥) . برقم : (٤٦٠٤) . ص : ٥٠٣ . سنن الترمذي : كتاب العلم : (٣٨) . باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ : (١٠) . برقم : (٢٦٦٤) . ص : ٤٣١ . سنن ابن ماجة : كتاب المقدمة . باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه : (٢) . برقم : (١٢) . ص : ١٩-٢٠ . والحديث صحيح . وقد أشار إلى صحته الترمذي في كتابه السنن : ص : ٤٣١ . والحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي : ١٠٨/١ . والألباني في صحيح الجامع الصغير : برقم : (٨١٨٦) . ١٣٦٠/٢ .

(٣) سورة النور الآية :٦٣.

(٤) سورة الحجرات الآية : ٢.

(٥) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : (١) . باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج : (٥٤) . برقم : (١٢١) . ١١٢/١ .

[٦] ميل القلب إليه ، والشوق لرؤيته ولقائه . عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله " [١].

قال القاضي عياض رحمه الله :

"ومن علامات محبّة النبي ﷺ كثرة ذكره له؛ فمن أحبّ شيئاً أكثر ذكره، ومنها كثرة شوقه إلى لقائه؛ فكل حبيبٍ يحبّ لقاء حبيبه، وفي حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون :

غداً نلقى الأحبّهْ! *** محمَّداً وصحبه! " [٢].

[٧] حب ما يحبه ، وبغض ما يبغضه . ومن ذلك أن نحب أهل بيته ، وأصحابه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ولا نبغضهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، وحبهم دين وإحسان ، وبغضهم كفر وطغيان [٣]، ونترضى عنهم جميعاً . عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما [٤]بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : " أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به " فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : " وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي " فقال له حصين [٥] : ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . قال : ومن هم ؟ قال : هم آل علي وآل

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها : (٥١) . باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ بأهله وماله : (٤) . برقم : (٢٨٣٢) . ٤/ ٢١٧٨ .

(٢) كتاب الشفا : ٣٣/٢ . والأثر في : مسند أحمد :٢٢٣/٣ . صحيح ابن حبان : برقم : (٧١٩٢) . ١٦٤/١٦ . قال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح . مسند أبي يعلى : برقم : (٣٨٤٥) . ٤٥٤/٦ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية : ص : ٥٤٥ .

(٤) خم واد بين مكة والمدينة عند الجحفة ، به غدير عنده خطب رسول الله ﷺ . انظر : معجم البلدان : ٢٨٩/٢ . معجم ما استعجم : ٣٦٨/١ .

(٥) هو حصين بن سبرة ، له إدراك ، وسمع من عمر رضي الله عنه . نزل الكوفة . انظر : الجرح والتعديل : ١٩٢/٣. الإصابة : ١٧٤/٢ .

عقيل وآل جعفر وآل عباس قال كل هؤلاء حرم الصدقة قال نعم " [1]. وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : " لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه " [2].

قال أبو زرعه الرازي رحمه الله :

" إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول حق ، والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة ، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ؛ ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة " [3]

وكذلك يبغض المسلم من يبغض رسول الله ﷺ ، فلا يواد ولا يحب .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" وحب الشيء وإرادته يستلزم بغض ضده وكراهته مع العلم بالتضاد، ولهذا قال تعالى ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[4]، والموادة من أعمال القلوب؛فإن الإيمان بالله يستلزم مودته ومودة رسوله، وذلك يناقض موادة من حاد الله ورسوله" [5].

[٨] الدفاع عنه ﷺ ، والذب عن حياضه ، ونصرته بالغالي والنفيس . قال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [6]. أثنى الله على الرعيل الأول ووصمهم

(١) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : (٤٤) . باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (٤) . برقم : (٢٤٠٨) . ١٨٧٣/٤ .
(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ : (٦٢) . باب قول النبي ﷺ : " لو كنت متخذاً خليلاً : (٥) . برقم : (٣٦٧٣) عن أبي سعيد الخدري . ص : ٧٧٢ . صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : (٤٤) . باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم : (٥٤) . برقم : (٢٥٤٠) . ١٩٦٧/٤ .
(٣) الكفاية : ص : ٩٧ .
(٤) سورة المجادلة الآية : ٢٢.
(٥) مجموع الفتاوى : ٧٥٣/١٠ .
(٦) سورة الحشر الآية : ٨.

بالصدق لأنهم نصروا نبيه وذبوا عنه ﷺ .

وإذا صدق المؤمن في حبه نال سعادة الدنيا والآخرة ، وتحقق له من المحاب ما يصبو إليه . **من ذلك** :

[١] من أحبه كان معه يوم القيامة ، وهل هنالك منزلة يسعى لها المسلم فوق تلك المنزلة .

عن أنس بن مالك قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله متى الساعة قال : **"** وما أعددت للساعة **"** ؟ قال حب الله ورسوله قال : **"** فإنك مع من أحببت **"** . قال أنس فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي ﷺ **"** فإنك مع من أحببت **"** قال أنس فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم .(١)

[٢] محبته تعين على طاعته ، والتمسك بهديه ، والسير على منواله ، والمداومة على العبادة ، والإكثار من الطاعة .

قال المباركفوري:

"يعني من أحب قومًا بالإخلاص يكون من زمرتهم وإن لم يعمل عملهم لثبوت التقارب بين قلوبهم، وربما تؤدي تلك المحبة إلى موافقتهم**"** (٢).

وهنالك أمور تفسد محبته ﷺ ، وهي تندرج تحت أصلين :

الأول: الغلو فيه:

إن الله تعالى حذرنا من الغلو بكل صوره فقال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : (٧٨) . باب ما جاء في قول الرجل : ويلك : (٩٥) . برقم : (٦١٦٧) . ص : ١٣١٨ . صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب : (٤٥) . باب المرء مع من أحب : (٥٠) . برقم : (٢٦٣٩) . ٤/ ٢٠٣٢ .

(٢) تحفة الأحوذي ٥٣/٧ .

﴿ وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [1]. وفي هذا تحذير لأمة الإسلام أن تسلك مسلك اليهود والنصارى فتغلوا في دينها . كما حذر من ذلك رسول الله ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته القط لي حصى فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف فجعل ينفضهن في كفه ويقول : " أمثال هؤلاء فارموا ثم قال يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين " [2]. ولا شك إن هذين نصين عامين يشملان جميع جوانب الدين ، ولكن رسول الله ﷺ نهى عن الغلو فيه خاصة . فعن ابن عباس سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر سمعت النبي ﷺ يقول : " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله "[3].

والغلو فيه تتكاثر أنواعه ، وتتعدد صوره منها :

[١] اعتقاد ما ينافي بشريته ﷺ . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [4].

فيعتريه ما يعتري البشر من الآلام والأمراض والمصائب ، فيفرح ويحزن . فلا يجعل في مقام الخالق سبحانه ، فيدعى كما يدعى الله ، ويستغاث به في الشدائد ، ويلجأ إليه لكشف الكروب والملمات ، بل يعتقد أنه يتصرف في الكون ، بل يظن أنه هو الذي جاد بهذه الدنيا كما جاد بالآخرة .

كما قال القائل :

يا أكْرَمَ الرُّسْل مالِى مَنْ أَلوذُ به   سِواكَ عندَ حلول الحادِثِ العَمِم إذا

(١) سورة المائدة الآية: ٧٧.
(٢) سنن النسائي : كتاب مناسك الحج : (٢٤) . باب التقاط الحصى : (٢١٧) . برقم : (٣٠٥٧) . ص : ٣٢٣ . سنن ابن ماجه : كتاب المناسك : (٢٥) . باب قدر حصى الرمي : (٦٣) . برقم : (٣٠٢٩) . ص : ٣٢٨ . قال الألباني : صحيح .
(٣) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : (٦٠) . باب " واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها " : (٤٨) . برقم : (٣٤٤٥) . ص : ٧٣١ .
(٤) سورة الكهف الآية: ١١٠.

وَلَنْ يَضِيقَ رَسولَ اللهِ جاهُكَ بي ... الكريمُ تَحَلَّى باسْمِ مُنْتَقِمِ
فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضَرَّتَها ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ.[1]

أو لولاه ما خلق الله الخلق كما ذكر في الحديث الموضوع : " لولاك ما خلقت الأفلاك "[2] . أو هو أصل الخلائق وأساسها . كما جاء في الحديث الموضوع الآخر : " أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر "[3]. عن بن عباس أن رجلا أتى النبي ﷺ فكلمه في بعض الأمر فقال ما شاء الله وشئت فقال النبي ﷺ : " أجعلتني لله عدلا قل ما شاء الله وحده "[4].

[٢] إحداث البدع[5] المنكرة كإقامة الموالد والأعياد البدعية وما يحدث فيها من المخالفات الشرعية من شركيات ظاهرة ، وضلالات بينة ، مع دعاوى كاذبة تزعم حبه زوراً وبهتاناً ، وما يتبع ذلك من غلو في صفاته ، وتعد في مدحه ، وتجاوز في ذكره . وكل ذلك مناف للحب الحقيقي .

الثاني : الجفاء عنه ﷺ :

وهو كذلك تتعدد صوره كما تعددت صور الغلو فيه . من ذلك :

(١) الاستهزاء به ، وسبه ، وقذفه ، والطعن فيه ، والنيل منه ، والتطاول عليه .

(٢) رد سنته والطعن فيها ، والاستهانة بها ، وترك التمسك بها ، وتقديم غيرها

(١) هذه أبيات من قصيدة البردة لشرف الدين البوصيري .
(٢) انظر : موضوعات الصغاني : ص : ٧٨ . تذكرة الموضوعات : ص : ٨٦ . المصنوع في معرفة الحديث الموضوع : ص : ٢٥٥ . كشف الخفاء : ٢١٢٣/٢ . الفوائد المجموع : ص : ١٠١٢ . الآثار المرفوعة : ص : ٤٤ . اللؤلؤ الموضوع : ٤٥٢ . التهاني : ص : ٤٨ .
(٣) انظر : كشف الخفاء : ٨٢٧/١ . الآثار المرفوعة : ص : ٤٢ .
(٤) السنن الكبرى للنسائي : باب النهي أن يقال ما شاء الله وشاء فلان . كتاب عمل اليوم والليلة . برقم : (١٠٨٢٥) . ٢٤٥/٦ . سنن البيهقي : كتاب الجمعة . باب ما يكره من الكلام في الخطبة . برقم : (٥٦٠٣) . ٢١٧/٣ . مسند أحمد : ٣٤٧/١ . قال شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره .
(٥) البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية ، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية . الاعتصام : ٢٨/١ .

عليها من آراء الرجال ، وزبالات الأذهان ، وأهواء البشر وأمزجتهم وأذواقهم . وتجاسر العقول بردها .

المطلب السادس: حقيقة إتباع النبي ﷺ :

إتباع رسول الله ﷺ ركن عظيم من أركان الدين ، وركيزة أصيلة من ركائزه، بل ضرورة ملحة لا يمكن لأحد أن يتجاوزها .

واتباعه ﷺ يعني الاقتداء به ، واقتفاء أثره ، والسير على منواله ، والتمسك بهديه ، والالتزام بشرعه ، فلا يعبد الله إلا عن طريقه ، ولا يؤخذ شيء من أحكام الدين إلا بواسطته ، فما أمر به التزمنا أمره ، وما نهى عنه انتهينا عنه .

ونصوص الشرع الدالة على ذلك استفاض بها كتاب الله وسنة رسوله . من ذلك : قوله تعالى :﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (١)،وقوله تعالى:﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًاۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢). وقوله:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣). والآيات كثيرة في ذلك . ومن الأحاديث حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا يا رسول الله ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى " (٤).

وإتباعه ﷺ يشمل الاعتقادات والعبادات والمعاملات والأخلاق وجميع جوانب الدين التي كلف بها البشر .

---

(١) سورة الحشر الآية: ٧.
(٢) سورة النور الآية: ٦٣.
(٣) سورة آل عمران الآية:٣١.
(٤) سبق تخريجه.

فيعتقد العبد ما اعتقده رسول الله ﷺ على الوجه الذي اعتقده ، ويعبد الله على الوجه الذي عبد به رسول الله ربه ، ويحسن التعامل مع الناس على ما بينه رسول الله ﷺ، ويتخلق بالأخلاق التي تخلق بها رسول الله ﷺ .

وهنالك قواعد مهمة تتعلق بأمر الاتباع :

[١] لا يصح اتباع النبي ﷺ إلا بأخذ القرآن والسنة معاً دون التفريق بينهما لقول الله تعالى :﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾ [١]،

ولقوله ﷺ في حديث المقدام بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه " [٢].

[٢] لا يفرق فيما ثبت بالسنة بين متواتر [٣] وآحاد [٤] بل يؤخذ الجميع مأخذ التسليم . ولا يعارض ما جاء به صلى الله عليه وسلم باجتهادات العقول وآراء الرجال بل يسلم له التسليم الكامل .

قال الزهري [٥]: " من الله الرسالة، وعلى رسول الله -ﷺ- البلاغ، وعلينا التسليم" [٦]

(١) سورة النساء الآية: ٨٠.
(٢) هذا جزء من حديث المقدام بن معد كرب ، وقد سبق تخريجه .
(٣) التواتر هو التتابع ، والمتواتر في اصطلاح المحدثين هو الحديث الذي رواه عدد كثير تحيل العادة تواطؤهم على الكذب ، وأن يكون مستند خبرهم الحس وإفادة العلم لسامعه . انظر : تيسير مصطلح الحديث : ص : ١٩-٢٠ .
(٤) الآحاد جمع أحد بمعنى الواحد ، وخبر الآحاد ما يرويه شخص واحد فأكثر ولم يبلغ حد التواتر . انظر : المرجع السابق : ص : ٢٢ .
(٥) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب أبو بكر القرشي الزهري ، التابعي العلم ، الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته وإتقانه . انظر : التاريخ الكبير : ٢٢٠/١ . معرفة الثقات : ٢٥٣/٢ . تهذيب الكمال : ٤١٩/٢٦ . تذكرة الحفاظ : ١٠٨/١ .
(٦) صحيح البخاري : ص : ١٥٨٢ .

وقال ابن أبي العز شارحًا قول الطحاوي: " ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام: " أي لا يثبت إسلام من لم يُسلم لنصوص الوحيين ، وينقاد إليها ، ولا يعترض عليها، ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه " (١).

[٣] إنه أحد أصلي الإسلام : وهما الإخلاص وإفراد الله بالعبادة . فالإخلاص تجريد التوحيد والعمل لله ، والإتباع هو تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ ، وهما حقيقة الشهادة التي هي حقيقة إيمان العبد . فشهادة ألا إله إلا الله هي الإخلاص . وشهادة أن محمداً رسول الله هي الاتباع . ودون هذين الأصلين لا يقبل الله من أحد صرفاً ولا عدلاً . قال الله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ (٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" وبالجملة فمعنا أصلان عظيمان، أحدهما: ألا نعبد إلا الله، والثاني: ألا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بعبادة مبتدعة، وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله " (٣).

[٤] إنه شرط لقبول العبادة ، ودونه لا تصح . بل لا بد في العبادة من مراعاة السبب ، والقدر ، والكيفية ، والجنس ، والزمان ، والمكان . إن وجدت . والإخلال بأي منها يؤدي إلى ارتكاب البدع التي هي من أعظم الأمور مناهضة للإتباع . وقد حذر رسول الله ﷺ من البدع تحذيراً بالغاً فقال في حديث جابر رضي الله عنه : " فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة " (٤).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ص : ١٨١ .
(٢) سورة الكهف الآية : ١١٠.
(٣) مجموع الفتاوى : ٣٣٣/١ .
(٤) صحيح مسلم : كتاب الجمعة : (٧) . باب تخفيف الصلاة والخطبة : (١٣) . برقم : (٨٦٧) . ٢/ ٥٩٢ .

وفي حديث العرباض رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : " من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ " (١). وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد " . (٢) وعند مسلم : " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد " (٣).

قال ابن رجب رحمه الله :

" فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله –تعالى– فليس لعامله فيه ثواب؛ فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء " (٤).

[٥] إنه سبب لدخول الجنة : قال تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٥) . وقد سبق حديثه ﷺ : " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى " .

(١) سنن أبي داود : كتاب السنة : (٣٩) . باب في لزوم السنة : (٥) . برقم : (٤٦٠٧) . ص : ٥٠٤ . سنن الترمذي : كتاب العلم : (٣٨) . باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع : (١٦) . برقم : (٢٦٧٦) . وقال : حديث حسن صحيح . ص : ٤٣٣ . سنن ابن ماجه : في المقدمة . باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين : (٦) . برقم : (٤٢) . ص : ٢٢ . قال الألباني : صحيح .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصلح : (٥٣) . باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود : (٥) . برقم : (٢٦٩٧) . ص : ٥٦٣ . صحيح مسلم : كتاب الأقضية : (٣٠) . باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور : (٨) . برقم : (١٧١٨) . ٣/١٣٤٣-١٣٤٤ .

(٣)صحيح مسلم : في نفس الكتاب والباب والجزء والصفحة .

(٤) جامع العلوم والحكم : ص : ٥٩ .

(٥) سورة النساء الآية:١٣.

[٦] إنه يجلب محبة الله تعالى للعبد ، ويهديه إلى الصراط المستقيم .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

قال ابن كثير رحمه الله :

" هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين المحمدي في جميع أقواله وأفعاله " (٢).

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٣).

[٧] إنه دافع لعذاب الله ووعيده المترتب على تركه . قال تعالى﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٤). وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (٥).

[٨] إنه أعظم صفات المؤمنين التي استحقوا بها الإيمان . قال تعالى :﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (٦).

(١) سورة آل عمران الآية : ٣١.
(٢) تفسير القرآن العظيم : ٣٥٩/١ .
(٣) سورة الأعراف الآية: ١٥٨.
(٤) سورة آل عمران الآية :٣٢.
(٥) سورة النساء الآية: ١٤.
(٦) سورة النور الآيات : ٥١-٥٢.

[٩] ينتفي الإيمان عمن أعرض عن طاعة رسول الله ﷺ ورفض حكمه . قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١)

قال ابن كثير رحمه الله :

" يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا ولهذا قال ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة " (٢).

[١٠] فيه تعظيم لنصوص الوحي ، وتبجيل لها ، وتقديمها على غيرها من الآراء والأهواء والاجتهادات والظنون ، وعدم معارضتها بالعقول . قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (٣) . وعن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها " . قال فقال بلال بن عبد الله : والله لنمنعهن . قال فأقبل عليه عبد الله فسبه سباً سيئاً ما سمعته سبه مثله قط . وقال أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول : والله لنمنعهن " (٤). وعن سعيد بن جبير (٥) أن قريباً لعبد الله بن مغفل حذف. قال فنهاه وقال إن رسول الله ﷺ نهى الخذف وقال:"

(١) سورة النساء الآية : ٦٥.
(٢) تفسير القرآن العظيم : ٥٢١/١.
(٣)سورة الحج الآية: ٣٢.
(٤) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : (٤) . باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة ، وأنها لا تخرج مطيبة : (٣٠) . برقم : (٤٤٢) . ٣٢٧/١ .
(٥) سعيد بن جبير بن هشام أبو عبد الله أو أبو محمد الأسدي الكوفي ، الوالبي مولاهم المقرئ . أحد أعلام التابعين ثقة ثبت فقيه عابد ، خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج بن يوسف سنة ٩٥هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٢٥٦/٦ . طبقات خليفة : ص : ٢٨٠ . معرفة الثقات : ٣٩٥/١ . ثقات ابن حبان : ٢٧٥/٤ . التعديل والتجريح : ١٠٧٥/٣ . تهذيب الكمال : ٣٥٨/١٠ .

إنها لا تصيد صيدا ولا تنكأ عدوا ولكنها تكسر السن وتفقأ العين ". قال فعاد .فقال أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم تخذف لا أكلمك أبدا[1].

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: تمتع النبي –ﷺ– فقال عروة بن الزبير [2] : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، فقال ابن عباس: " أراهم سيهلكون أقول: قال النبي –ﷺ– ويقولون: نهى أبو بكر وعمر "[3].

وعن علي رضي الله عنه قال : " لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه "[4].

ومن عارض الوحي برأي أو عقل أو غير ذلك فإنه يؤدي إلى فساد عقله ورأيه ، ويزيغ عن الحق ، ويظلم عليه أمره .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" من أعرض عن إتباع الحق – الذي يعلمه– تبعاً لهواه، فإن ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمي قلبه عن الحق الواضح . كما قال تعالى :﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ .[5]

وهنالك أمور تعيق الاتباع ، وتبعد من تلبس بها عنه ، وتحرمه لذة الاقتداء برسول الله ﷺ ، وتعرضه للعقوبة العاجلة والآجلة وهي كثيرة منها :

[١] الجهل بنصوص الوحي ، وبمقامها ، ودلالاتها ، وفهمها ، وتطبيقها . قال

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الذبائح والصيد : (٧٢) . باب الخذف والبندقة : (٥) . برقم : (٥٤٧٩) . ص : ١١٩٩ . صحيح مسلم : كتاب الصيد والذبائح : (٣٤) . باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو وكراهة الخذف . (١٠) . برقم : (١٩٥٤) . ١٥٤٨/٣ .

(٢) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد أبو عبد الله الأسدي القرشي المدني . وأمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها . من أئمة التابعين وفقهائهم الأفاضل ، ثقة عابد كثير الحديث . تفي سنة ٩٤هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ١٧٨/٥ . طبقات خليفة : ص : ٢٤١ . التاريخ الكبير : ٣١/٧ . الجرح والتعديل : ٣٩٥/٦ . تذكرة الحفاظ : ٦٢/١ . تهذيب التهذيب : ١٦٣/٧ .

(٣) مسند أحمد : ٣٣٧/١ .

(٤) سنن أبي داود : كتاب الطهارة : (١) . باب كيف المسح : (٦٣) . برقم : (١٦٢ ، ١٦٣) . صححه الألباني . ص : ٤٢ . مسند أحمد : ٩٥/١ . قال أحمد شاكر : إسناده صحيح . مسند أحمد بتحقيق شاكر : ١٠٤/٢ .

(٥) سورة الصف الآية : ٥. وانظر مجموع الفتاوى : ١٠/١٠ .

تعالى: { وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً }(١). فهي آية محذرة من أن يتكلم الإنسان في دين الله ، أو يتتبع ما جهل من الشرع دون فهم .

ومن ذلك قوله تعالى : { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }(٢).

قال ابن القيم رحمه الله :

"في قوله تعالى : { وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}، فهذا أعظم المحرمات عند الله وأشدها إثما، فإنه يتضمن الكذب على الله ونسبته إلى ما لا يليق به، وتغيير دينه وتبديله، ونفي ما أثبته، وإثبات ما نفاه، وتحقيق ما أبطله، وإبطال ما حققه، وعداوة من والاه، وموالاة من عاداه، وحب ما أبغضه، وبغض ما أحبه، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله، فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه ، ولا أشد إثماً وهو أصل الشرك والكفر، وعليه أسست البدع والضلالات، فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم " (٣).

وقد حذر رسول الله من أناس أدعياء للعلم مع خلو منه ، يوقعون عن الله ورسوله بجهل وادعاء ، فيهلكون أنفسهم ، ويهلكون غيرهم . عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا " (٤).

(١) سورة [الإسراء الآية: ٣٦.
(٢) سورة الأعراف الآية: ٣.
(٣) مدارج السالكين : ٣٧٢/١ .
(٤) صحيح البخاري:كتاب العلم:(٣). باب كيف يقبض العلم: (٣٤).برقم:(١٠٠). ص: ٤٠. صحيح مسلم : كتاب العلم: (٤٧). باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان: (٥). برقم: (٢٦٧٣). ٢٠٥٨/٤ .

[٢] إتباع الهوى . الهوى هو ميل النفس إلى شهوة تلائم الطبع أو شبهة تلائم العقل .(١)

وقد حذر الله من الهوى أيما تحذير فقال : { فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }(٢).

وقال سبحانه : { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ }(٣) . فالهوى مناقض للاستجابة لأمر رسول الله كم بين الله في الآية الأولى . بل قد يكون إلهاً يعبد مع الله كما بين في الآية الثانية . وهو منشأ الضلال ، ومبعث الانحراف ، ومؤسس البدع . بل هو كداء الكلب الذي إذا أصاب أحداً أهلكه . عن معاوية بن أبي سفيان قال قال رسول الله ﷺ : " وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه لا يبقي منه عرق ولا مفصل إلا دخله "(٤).

[٣] التعصب والتقليد(٥) لآراء الشيوخ والكبراء : قال الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ }(٦).

فالآية ذامة لكل من تعلق بأقوال الآباء وترك الحق الذي جاءت به الرسل عليهم السلام ، ويشمل ذلك كل قول أو فعل يتعلق به أحد فيخالف به النص .

(١) انظر : روشضة المحبين : ص : ٤٦٩ .
(٢) سورة القصص الآية: ٥٠.
(٣) سورة الجاثية الآية: ٢٣
(٤) سنن أبي داود : كتاب السنة : (٣٩) . باب شرح السنة : (١) . برقم : (٤٥٩٧) . حسنه الألباني . ص : ٥٠٣ . مسند أحمد : ١٠٢/٤ . مستدرك الحاكم : ٢١٨/١ . وصحح إسناده ووافقه الذهبي .
(٥) التقليد عبارة عن إتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقدا للحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه وعبارة عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل . التعريفات : ص : ٩٠. وانظر : التعاريف : ١٩٩/٢ .
(٦) سورة المائدة: الآية: ١٠٤.

وقال سبحانه : { يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا }(١).

قال الشوكاني رحمه الله :

« والمراد بالسادة والكبراء هم الرؤساء والقادة الذين كانوا يمتثلون أمرهم في الدنيا ويقتدون بهم، وفي هذا زجر عن التقليد شديد ، وكم في الكتاب العزيز من التنبيه على هذا والتحذير منه والتنفير عنه، ولكن لمن يفهم معنى كلام الله ويقتدي به وينصف من نفسه، إلا لمن هو من جنس الأنعام في سوء الفهم ومزيد البلادة وشدة التعصب "(٢).

ومن أخطر أنواع التقليد التي تبعد المسلم من الإتباع تقليد أعداء الله من المستشرقين وغيرهم الذين شرقوا بهذا الدين فجاءت أقوالهم ملتوية ، وأحكامهم منحرفة تجاه رسولنا ﷺ ، فاتهموه بما يسيء ، وقذفوه بما هو منه بريء ، ليحطوا من قدره ، ويستهينوا بأمره ليظهر للناس بمظهر كريه لا يؤهله أن يكون رسولاً للبشرية . ولكن هؤلاء عداوتهم مكشوفة ، وخبثهم معلوم . فما بال أقوام ينتسبون إلى الإسلام ثم يرددون شبه أولئك الحاقدين . فهم في الحقيقة لا يقلون خطراً من أولئك . ولكن الله ناصر رسوله ، ومعلي دينه ، وقامع عدوه بإذنه تعالى .

وفي الختام أحمد الله تعالى الذي وفقني في كتابة هذا البحث المتواضع الذي هدفت من خلاله للإسهام مع من أسهموا في الدفاع عن نبيه ونصرته ، راجياً منه سبحانه أن يكتب لي أجره في صحيفة حسناتي في { يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ(٨٨) إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} (٣). وأصلي وأسلم على من بعثه الله رحمة للعالمين ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وإمام المتقين ، وآله الطيبين ، وصحبه الكرام الميامين ، ومن اهتدى

---

(١) سورة الأحزاب الآيات: ٦٦ـ ٦٨.
(٢)فتح القدير : ٣٠٦/٤ .
(٣) سورة الشعراء الآيات ٨٨ـ ٨٩.

بهديه ، وسار على نهجه إلى يوم الدين .